دور الأدب النيجيري في مناقشة قضايا العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان: دراسة في مسرحية "العميد المبجل"

محمد مصطفى عمر

mustaphaumar78@gmail.com

بجامعة أحمد بلُّو، زاريا – نيجيريا

ملخص :تعتبر العدالة الاجتماعية مبدءا أساسيا من مبادئ التعايش السلمي داخل الأمم لتحقق النماء والازدهار، فهي التي تدعو إلى توزيع الثروة والفرص والامتيازات داخل المجتمع، كما تفرض للجميع أن يستحق حقوقا وفرصا إقتصادية، وسياسية واجتماعية متساوية ماديا ومعنويا، مع توفير الأمن عند فقدان الدخل أوعدم كفايته أو تقطه، مما يترتب عليه الحقوق الإنسانية. وقد سجل الأدب النيجيري كمية كبيرة من الإنتاجات الشعرية والسردية. رأى الباحث إمكانية الإكتفاء بما كتبه الأديب زكريا إدريس حسين في مسريته المسماة "العميد المبجل"؛ ذلك لأن كل مسرحية تشتمل على قصة غير مسرودة، ولكنا ممثَّلة كما تحدث في الواقع، وتشتمل على وحدة الموضوع، أي وحدة القصة وهي موجودة في المسرحية.( ) وكل هذه العناصر متوفرة في مسرحية "العميد المبجل" التي ناقشت قضايا العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان، إذ تمركز موضوعها على الترغيب عن الإنهيار الخلقي في الوضع التعليمي النيجيري، والدعوة إلى العدالة ومحاربة الظلم. وسيستخدم الباحث المنهج الوصفي في معالجة هذه القضايا.

الكلمات المفتاحية: الأدب النيجيري، العدالة الاجتماعية، حقوق الإنسان

Abstract: Social justice is considered a fundamental principle of peaceful coexistence within nations, as it contributes to growth and prosperity. It calls for the fair distribution of wealth, opportunities, and privileges within society, and affirms that all individuals are entitled to equal economic, political, and social rights and opportunities, both materially and morally. It also ensures social security in cases of income loss, insufficiency, or interruption, which in turn underpins the realization of human rights. Nigerian literature has produced a substantial body of poetic and narrative works addressing such issues. This study focuses on the play The Revered Dean by the writer Zakariya Idris Husayn, as a single dramatic text can embody an implicit narrative that reflects lived reality through performance, while maintaining thematic unity. All these elements are evident in The Revered Dean, which addresses issues of social justice and human rights by centering on moral decline within the Nigerian educational context, while advocating justice and resisting oppression. The study employs a descriptive approach to analyze these issues.

Keywords: Nigerian literature, social justice, human rights

المقدمة

أظهر الأديب في هذا الفصل وجود صراع بين أفراد الجيل الواحد في العقول والعمل والفكر، ليس ذلك فحسب بل إن العميد نفسه أظهر وجود صراع بينه وبين نفسه على يد الأديب. فالعميد في الفصل الأول يدعي أنه ابن العز والشرف والسمعة الطيبة، بينما أهل القرية في الفصل الثاني يسترجعون سيرته أيام التعليم الثانوي والجامعي بأن أهالي القرية هم الذين كانوا يجمعون له مصاريف الدراسة ليكملوا له تعليمه، وأنه الآن يأخذ منهم المال نهبا وظلما نظير خدمة عامة يقدمها لأولادهم على حساب القانون واللوائح الجامعية. الأدهى من ذلك أن أخاه مندي عندما يسأله عن أحواله وأحوال الجامعة يرد عليه قائلا: (أنا بخير غير أن هذه الحالة الاقتصادية السيئة تزداد شدة كل يوم)[i] مما جعل أخاه يعلق على ذلك بالقول: (نحمد الله على أنعمه ولو كنا جائعين. إن من له عافية هو الذي يشتكي من الجوع"[ii]، وبالمناسبة يكفي العميد في ذلك كذبا أن أهل القرية يميزون سيارته باللون الفاقع والفخامة، وأنه هو (العميد بنفسه) المستدعي للمثل الشعبي السابق الذي يقارن نفسه بالضبع وبقية أفراد القرية (المجتمع) بالنمل، فلا بد للضبع أن يأكل بعضا من النمل للدفاع عنه.

في قاعة اجتماع كبار الأساتذة في كلية العلوم الإنسانية بالجامعة يرحب العميد في الاجتماع الأول لأعضاء لجنة شؤون الدراسة والامتحانات، ولكن يطغى على الاجتماع ما أثاره العميد بشأن ما تنشره بعض الصحف والمجلات من أن هناك علاقة مشبوهة فيما بين بعض الأساتذة وبين الفتيات الحسناوات بالكلية، وأنهم يفعلون بهن ما يشاءون. وهنا انقسم الأساتذة بآرائهم إلى ثلاثة آراء.

وقبل أن ينهي العميد الاجتماع يذكرهم بالاجتماع العام لكل أعضاء هيئة التدريس يوم السابع عشر من يناير الأسبوع القادم لانتخاب عميد جديد للكلية، وهو على استعداد لخدمة الكلية في حالة ما إذا اختاروه. وأصحاب هذا الرأي الثالث اعترضوا على استعداده هذا، وإذا كان لهم أن يقبلوا ترشيح العميد فعليه أن يحلف أوّلا على أنه لن يضطهد الطلاب ولا المحاضرين، وأن لن

يفعل ما يشين. ولكن تدخل أصحاب الرأي الثاني بأن الانتخاب الأسبوع القادم وكل يصوت لمن يشاء ويترك الأمر هكذا. وقد كان. وينتهي الاجتماع[iii]

وهنا يقرع باب قاعة المحاضرة أحد الموظفين وفي يده رسالة وبكل أدب يطلب منه أن يقرأها في الحال فوريا، فيقرأها في سره في حين أن هناك جهاز تسجيل يذيع محتواها جهرا، ويقشعر جلد العميد من الخوف والاضطراب حتى ينتهي من القراءة.

فالرسالة من مخابرات أمن الدولة بالعاصمة النيجيريا في أبوجا إلى أ.د آخلي عميد كلية العلوم الإنسانية بجامعة كاكادو في مدينة كاكادو، وبعد السلام والتحية تقول الرسالة: " فإننا قد جمعنا أنباء كثيرة عنك وعن تصرفاتك الاجتماعية والأكاديمية في الحرم الجامعي وفي مدينة كاكادو وقريتك أبالولو. ونريدك أن تكون لنا ضيفا مكرما لبضعة أيام للمشاورة والمناقشة عن جو الأمن في كليتك وفي قريتك. وإذا تسلمت هذه الرسالة تقدم فورا مع الموظف الذي جاءك بها إلى مكتبنا. وعليك أن تتعاون معنا. والسلام"[iv] وفعلا يمتثل العميد للأمر المؤدب الموجه إليه في الرسالة ومن حاملها. ويأخذه الموظف (حامل الرسالة) بيده ويسير معه إلى الخارج، والعميد ينظر إلى الطلاب نظر المغشي عليه قبل الخروج وهو ينشد أبيات تدل على ندامته:[v]

بينما الطلبة يقولون: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"[vi] وينشدون نشيدا موسيقيا سلسا وسهلا يلخص سيرته السوداء في ستة أبيات[vii]

لقد طغت ظاهرة الفساد الأخلاقي للحد الذي جعل وسائل الإعلام المختلفة تتناوله جهارا نهارا بإقامة علاقات نسائية محرمة بين بعض الأساتذة وبعض الطالبات الحسناوات بالكلية، وعلى رأس هؤلاء الأساتدة عميد الكلية، ولعل القارئ الآن يمكنه أن يربط بين هذا وبين ما دار بين العميد وأخيه مندي في الفصل الثاني الذي ذكر فيه العميد أنه ذاهب مساء للقرية المجاورة للمقابلة إياها. فأدرك مندي أن أخاه العميد يشير بذلك إلى إحدى حسناواته بالقرية المجاورة ليقضي معها بعضا من الوقت، فأوصاه مندي أن لايتأخر عن العاشرة مساء حرصا على نفسه وماله من اللصوص.[viii] كما أن وصية رئيس الجامعة للعمداء والأساتذة ونصيحتهم بتوخي الحذر من

العلاقات الجنسية المحرمة مع الطالبات ونصيحتهم بأن يكون الجماع معهن جماعا شرعيا وبعد تخرجهن من الجامعة ما هو إلا ربط وحبكة من الأديب فيما بين هذه الوصية وبين ما يرتكبه العميد مع البنات في السر. ومن المؤكد أن الشكاوى التي وصلت رئيس الجامعة من بعض أساتذة الكلية ضد العميد كانت تتضمن مثل هذه الجرائم، مما جعل رئيس الجامعة يصدر منشورا على هيئة وصية أونصيحة موجهة للجميع، وحسنا ما فعل.

والأديب على مدار هذا الفصل خاصة وعلى مدار المسرحية كلها لم يفته أن يكون متوازنا في إظهاره وإبرازه للصراع بين الخير والشر. فكما أن الإخوة في البيت الواحد (آخلي + مندي) فيهم آخلي فاسد فهناك مندي صالح من جهة أنه ينصحه بالكف عما يرتكب من مخالفات. والأساتذة في اجتماعهم كانوا على ثلاثة آراء مختلفة سلبا وإيجابا، مبالاة ولا مبالاة، صفحا وعقابا. وما ذاك التوازن في الصراع بين الخير والشر إلا لأنه بين أفراد الجيل الواحد. أما عندما ينتقل الصراع بين جيلين (الطلاب + العميد) فعادة ما تكون حدوده حادة وشديدة لأن هناك جيل أكبر وجيل أصغر، جيل أكبر يرى بحكم العمر والخبرة والقوة المادية والنفوذ أن تكون له الغلبة، وجيل أصغر يرى أنه محكوم من الأكبر، فالطامة تكون أكبر عندما يكون الأكبر هو الشر والأصغر هو الخير. ولذلك فإن هذا الأصغر على مدى المسرحية هو المهضوم حقه والمظلوم والمجاهد لأنه في حكم المقهور، لذلك كان الطلاب كثيرا ما يلجأون إلى الله بالدعاء لرفع الظلم عنهم بل وعن البلاد والعباد. ومهما يكن من أمر فإن سنة الخالق في خلقه أن المظلوم منصور ولو بعد حين لأن دعوته ليس بينها وبين الخالق حجاب، وقد كان.

وكان الباحث يأمل لو أن الأديب أتى بالنصرة للطلاب وللإنسانية وللأخلاق الحميدة والسلوكيات القويمة عن طريق رئيس الجامعة أي أن يكون الإصلاح من داخل نفس المؤسسة الأكاديمية والتعليمية لا من خارجها لصون كرامتها التي في نفس الوقت تصب في صالح الوطن والمواطنين، وربما يكون للأديب عذره في أنه وجد على أرض واقع حادثة القصة المسرحية أن الإدارة العليا للجامعة تفوح منها هي الأخرى رائحة الفساد، وهذا أمر مشكوك فيه لأنه لم يأت

به الأديب إلا على لسان العميد، والعميد متهم بالكذب والخبل الفكري[ix] من أول المسرحية لآخرها، فيصعب تصديقه.

المنهج

يعتمد البحث على منهج وصفي تحليلي، يقوم برصد الاتجاهات اللسانية والنقدية المعاصرة، ويطبّقها على نماذج مختارة من الخطاب القرآني، كما يُوظّف آليات المقاربة التداولية والسيميائية والنقد البنيوي في تحليل النصوص، ضمن رؤية تكاملية تنفتح على التراث التفسيري دون أن تغلق أبواب الاجتهاد المعرفي المعاصر.

وإذ تضع هذه الدراسة نصب عينيها تحقيق التوازن بين قداسة النص القرآني وصرامة التحليل العلمي، فإنها تتوخّى أن تكون لبنة معرفية تضيء جانبًا من جمالية الخطاب الإلهي من خلال عدسة اللسانيات والنقد الحديث، لا لتفكك قدسيته، بل لتكشف عن عبقريته التعبيرية، وتنوّعه البِنائي، وثرائه الدلالي. فهي دعوة إلى قراءة واعية، تتجاوز التلقين إلى التفاعل، وتتخطّى التفسير التقليدي إلى التأويل القائم على أدوات العصر.

ومن هنا، فإن هذا البحث يُشكّل محاولة علمية متواضعة لإعادة قراءة الخطاب القرآني بوصفه نصًا مفتوحًا على تعدّد القراءات، وغنيًا بما يكفي لأن يظلّ قابلًا للحوار مع كلّ منهج، وكلّ عقل يُنشد الفهم والجمال والحقيقة.

البحث والمناقشة

القضايا التي تناولتها المسرحية:

جاءت الوقائع بالمسرحية حيّة، والشخصيات فيها ناضجة، والأبعاد فيها محددة، والتعبيرات فيها صادقة. وحسنة أخيرة تسجل للأديب: إيمانه القوي في مسرحيته بغدٍ مُشرق لوطنه على يد شباب الوطن وأمنه الوطني، وتحيزه لقيم الحق والعدل والجمال على المستوى الديني والأدبي وخاصة

النواحي الفنية الأدبية لفن المسرح والمسرحية. وعلى هذا يمكن حصر بعض القضايا الاجتماعية الواردة في المسرحية على النحو التالي:

شرح الوضع التعليمي النيجيري:

من أهم ما تناوله الأستاذ في هذه المسرحية شرح الوضع الأكاديمي النيجيري، وقد جعل ذلك موضوعا رئيسيا للمسرحية، يرى القارئ ذلك عندما يقول الأستاذ في مقدمة الطبعة الأولى للمسرحية: "وتتناول المسرحية موضوعا هاما في الوضع التعليمي النيجيري."[x]. وعلى ذلك يمكن حصر القضايا التي تناولتها المسرحية في نوعين: قضايا أساسية وأخرى فرعية. والأساسية تبدو في النقاط التالية:

الاعتناء بالتربية والتعليم:

من القضايا التي عالجها الأستاذ في المسرحية، الاعتناء بأمر التعليم. فأشار إلى ما بذله أهل قرية أبالولو من الجهد بإنفاق كل ما في وسعهم في محاولتهم لتعليم أبنائهم، وجمعوا في ذلك أموالا كثيرة لتساعهم على نيل مرادهم. ويرى القارئ ذلك في حوار أهل القرية مع بعضهم: [xi]

الدعوة إلى التواضع ومحاربة التفاخر

يرى القارئ أن المؤلف جعل الأستاذ آحُلِي (العميد لكلية العلوم الإنسانية في جامعة كاكادو الخيالية) يمثل جانبا سلبيا في الحياة الجامعية بتصرفاته السيئة مع الطلبة، بالإساءة إليهم والتفاخر أمامهم، فهو لايعطيهم حقوقهم العلمية المشروعة كطلاب علم تحت رعايته، ولا يدرسهم مادته المقررة كما ينبغي، ومع ذلك يسلب أموالهم بدون رضاهم، كما يتضح في المسرحية[xii]

مكافحة الظلم:

إن الظلم عاقبته وخيمة. فقد جعلت المسرحية عاقبة العميد الندامة والخسارة والهوان، إذ انقلبت عليه الحياة رأسا على عقب، وصار كل شيء ضده. الأساتذة يحقرونه، والطلبة يتهمونه، والصحفيون يعتبون عليه، وكأن الدنيا أدبرت عنه بعد ما أقبلت إليه بكل ما فيها، فلم يحسن استقبالها. كما جاء في المسرحية [xiii]

دل هذا المشهد على ما انتهى إليه العميد من الندم، وسوء العاقبة، بعد أن ارتكب الجرائم وجمع الأموال الطائلة التي لم يكن يتحفظ في طريقة جمعها، وبعد أن هتك أعراض الناس، وأكل أموالهم رشوة لما كانت السلطة بيده، ناسيا أن الأيام دول، يوم لك ويوم عليك، لما اغتر بما آتاه الله من الملك فزعم أن هذه فرصة أتاحت له أن يتخطى بها رقاب الناس، فظلم كل من كان تحته. ظلم المجتمع الذي يعيش فيه بعدم أداء الأمانة التي حمّل عليه، وظلم أفراد المجتمع بأخذ أموالهم من غير نفع قدم لهم، وظلم الطلبة برفضه الواجب الذي لهم عليه، وهو تدريسهم وتربيتهم كما ينبغي، وظلم شباب الأساتذة بقبول الرشوة من بعضهم على أنه يعمل في ترقيتهم، وظلمهم من جهة أخرى باقتراف ما يشين في عرضهم وهو العلاقة الجنسية مع الطالبات. وأخيرا أخذه الله من حيث لم يحتسب، فإذا به بين الطلبة وقد نزل الهوان عليه من كل جانب وذلك جزاء الظالمين.

السعي وراء الحق ونصرة أصحابه:

إن نصرة الحق والسعي وراء تحقيقه هو الهدف الأساسي للمسرحية، لأنها لا تعني بإبراز كل هذه الأخلاق السيئة في بعض الأساتذة، والحسنة في البعض الآخر، إلا ليعلم الناس الظواهر السلبية فيبتعدوا عنها، ويعرفوا الأخلاق الحسنة فيمتثلوا بها. وهذا واضح في قول الأستاذ عندما قال في مقدمة المسرحية " وأملنا الوطيد هو أن يستفيد القراء، والممثلون، والمشاهدون، وطلاب الأدب العربي النيجيري الأصيل، والنقاد، والباحثون عن الحق والخير والجمال من محاولتنا المتواضعة هذه."[(xiv)]

هكذا يثور الدكتور كَاكُو على العميد، في محاولته أن يحق الحق وينصره، مع أن بعضا من أعضاء الجلسة لا يتفقون معه، ولم يلق لذلك بالا، إذ يكفيه أن يبدي رأيه حتى ولو كان منفردا في وجهة نظره، إيمانا بأن الحق يعلو ولا يعلى عليه وإن طال الأمد.

الوضع الأمني المتردّي:

مفهوم من المسرحية أن الوضع الأمني مضطرب في قرية أبالولو، ذلك كما أشارت إليه المسرحية أن الناس لا يريدون السفر ليلا خوفا من اللصوص وقطاع الطريق، فالسفر من هذه القرية إلى أخرى لا يمكن إلا في ساعات نهارية، أما الليل فلا يمكن للإنسان أن يسير فيه إلا وهو خائف يترقب، ويخاف مما قد يلحقه في طريقه من المكاره. وهذا مفهوم من المسرحية في حوار جرى بين العميد وبين أخيه مندي، عندما يوصيه بألا يذهب في زيارة لقرية مجاورة ليلا، لأن الطريق غير مأمون. فيكون الأُديب قد نبه المسؤولين بأن يحاولوا جادين في محاربة العدوان والتعدي. [xv]

نتائج البحث:

من النتائج التي توصلت إليها المقالة ما يلي:

- إن للأدب النيجيري دور فاعل في معالجة القضايا الاجتماعية وحقوق الإنسان. كالدعوة إلى المساواة، ومحاربة الظلم، وخلق التوعية.
- إن للمسرحية أثرا إيجابيا كغيرها من الفنون الأدبية، ذلك لأن الجماهير يتمتعون بمتابعتها أكثر، فيتلقون رسالتها بطريقة سهلة وسريعة وممتعة.
- إن الكاتب رجل اجتماعي، يهمه ما يعاني منه المجتمع من الآلام والآمال، والأفراح والأتراح.
- إنه –دائما– يحث على الخير والفضيلة، ويتمنى لبلده العزيز، وشعبه الطيب، بل وللإنسانية كلها خيرا وتقدما عريقا.

References

١- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢- ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت.

٣- صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت.

٤- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة.

٥- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

٦- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت.

٧- كمال أبو ديب، في البنية الإيقاعية للشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت.

٨- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت.

٩- كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير، دار الجيل، بيروت.

١٠- رمضان عبد التواب، الترادف في العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة.

( ) [i] نفس المصدر ص ٢١

( ) زكريا حسين إدريس، العميد المبجل. المصدر السابق، ص٢٢.[ii]

( ) زكريا حسين إدريس، العميد المبجل. المصدر السابق، ص ٣٨-٣٩.[iii]

( ) زكريا حسين إدريس، العميد المبجل. المصدر السابق، ص٤٥[iv]

( ) نفس المصدر ص ٤٤.[v]

( ) المصدر نفسه ص ٤٤[vi]

( ) نفس المصدر ص ٤٥[vii]

( ) زكريا حسين إدريس، العميد المبجل. المصدر السابق، ص ٢٨[viii]

( ) سمي العميد في نهاية المسرحية على لسان إحدى الشخصيات بأنه العميد المخبل. ص ٣٢.[ix]

( ) زكريا حسين إدريس، العميد المبجل. المصدر السابق، ص ٥[x]

( ) زكريا حسين إدريس، العميد المبجل. المصدر السابق، ص:١٩-٢٠[xi]

( ) المصدر نفسه ، ص: ١٤ وما بعدها.[xii]

( ) زكريا حسين إدريس، العميد المبجل. المصدر السابق، ص ٤١-٤٢[xiii]

( ) زكريا حسين إدريس، العميد المبجل. المصدر السابق، ص: ٥.[xiv]

( ) نفس المصدر، ص ٢٩.[xv]